كلمة الحياة

أيّار/ مايو 2022

"أُعْطيكم وَصِيَّةً جَديدَة: أَحِبُّوا بَعضُكم بَعضًا. كما أَحبَبتُكم أَحِبُّوا أَنتُم أَيضًا بَعَضُكم بَعْضًا" (يوحنّا 13، 34)

نحن هنا في العشاء الأخير. يسوع متّكِئ إلى المائدة مع تلاميذه، وقد انتهى لِتَوِّه من غسل أرجلهم. بعد بضع ساعات سيُلقى القبض عليه، وسيُحكَم عليه بالموت، ويُصلَب. حين يَضيق الوقت ويقترب الهدف، تُقال الأشياء الأهمّ وتُترَك "الوصيّة".

في هذا الإطار، لا يقدّم لنا إنجيل يوحنّا رواية تأسيس الإفخارستيّا، بل يَستبدل بها رواية غسل الأرجل. وفي ضوء ذلك يجب فهم الوصيّة الجديدة. فيسوع يفعل أوّلًا، ومن ثَمَّ يُعلّم. ولذا فإنّ لكلمته سلطة.

كانت وصيّة محبّة القريب قد وردت في العهد القديم: "أحبِبْ قريبَكَ حبّكَ لنفسِكَ" (اللاويّين 19، 18). أمّا هنا فيسوع يسلّط الضوء على مظهر جديد منها وهو المبادَلة: أي المحبّة المتبادلة التي تولّد جماعة التلاميذ وتميّزها.

تجد هذه الوصيّة جذورها في حياة الله نفسِها، في الديناميّة الثالوثيّة التي يستطيع الإنسان أن يشارك فيها بواسطة الابن. تُعطينا كيارا لوبيك مثالًا عنها في صورة قادرة أن تنوّرنا: "عندما جاء يسوع إلى الأرض، لم ينطلق من العدم كما هو الأمر بالنسبة إلينا، وإنّما من السماء. وعلى غرار المُهاجِر الذي، حين يذهب إلى بلد بعيد، يتكيّف مع المحيط الجديد، ولكنّه يحمل معه أيضًا عاداتِه وتقاليدَه، وغالبًا ما يستمرّ في التكلّم بلغته، هكذا يسوع تكيّف هنا على الأرض مع حياة كلّ إنسان، ولكنّه حمل معه– لأنّه الله– طريقة عيش الثالوث الأقدس الذي هو محبّة، محبّة متبادلة"[1].

"أُعْطيكم وَصِيَّةً جَديدَة: أَحِبُّوا بَعضُكم بَعضًا. كما أَحبَبتُكم أَحِبُّوا أَنتُم أَيضًا بَعَضُكم بَعْضًا"

هنا ندخل في صميم رسالة يسوع التي تعيدنا إلى نضارة الجماعات المسيحيّة الأولى والتي يمكنها اليوم أيضًا أن تميّز مجموعاتِنا وجمعيّاتِنا كلِّها. في بيئة تشكّل فيها المُبادَلة حقيقةً حيّة، نختبر معنى وجودِنا، ونجد القوّة للمُضيّ قُدُمًا في لحظات الألم والمعاناة، ونشعر بأنّنا مسنودون في الصعوبات التي لا يمكن تفاديها، ونتذوّق الفرح.

[1] C. Lubich, Maria trasparenza di Dio, Città Nuova, Roma 2003, pp. 72-73.

كثيرة هي التحدّيات التي نواجهها كلّ يوم: الوباء، التوتّرات، الفقر، النزاعات. لنتخيّل للحظة ما قد يحدث إذا نجحنا في عيش الكلمة هذه يومًا بعد يوم: سوف نجد أنفسَنا أمام آفاق جديدة، إذ ينفتح مشروع الإنسانيّة أمام أعيننا ويبعث فينا الرجاء. ولكن مَن الذي يمنعنا من إيقاظ هذه الحياة فينا؟ ومَن الذي يمنعنا من إحياء علاقات أخويّة من حولنا تتوسّع وتمتدّ إلى العالم أجمع؟

"أُعْطيكم وَصِيَّةً جَديدَة: أَحِبُّوا بَعضُكم بَعضًا. كما أَحبَبتُكم أَحِبُّوا أَنتُم أَيضًا بَعضُكم بَعْضًا"

مرتا فتاة إيطاليّة متطوّعة تساعد السجناء في الإعداد للامتحانات الجامعيّة. "المرّة الأولى التي دخلتُ فيها السجن التقيتُ بأشخاص يلفّهم الخوف والهشاشة. سعيتُ في بادئ الأمر إلى بناء علاقة عمل، ثمّ علاقة صداقة مبنيّة على الاحترام والإصغاء. وسرعان ما أدركت أنّني لستُ أنا وحدي أساعد السجناء، بل هم أيضًا يساندونني. ذات مرّة، فيما كنت أساعد طالبًا في الامتحان، فقدتُ شخصًا من عائلتي، أمّا هو فتمّ تأكيد الحكم الصادر بحقّه في محكمة الاستئناف. كنّا كلانا في حالة سيّئة للغاية. خلال الدروس، رأيت أنّه كان يعاني ألمًا شديدًا في داخله، وقد تمكّن من أن يفتح لي قلبه. ساعدَنا حملُ ثقل هذا الألم معًا على المضيّ قُدُمًا. عندما انتهى الامتحان، جاء يشكرني قائلًا إنّه بدوني لما كان ليحقّق ذلك. صحيح أنّ حياة فرد من عائلتي انطفأت، إلّا أنّني شعرت من الجانب الآخر أنّني أنقذت حياة أخرى. لقد فهمتُ أنّ المبادَلة تسمح بإنشاء علاقات حقيقيّة، علاقات صداقة واحترام"[2].

ليتيتسيا ماغري *Letizia Magri*

[2] Cf. http://www.unitedworldproject.org/workshop/unesperienza-al-di-la-delle-sbarre-relazioni-di-cura-reciproca/.